اللّه في ذاتي .. وذاته في قلبي

بقلم: محمد مندور

obeikan.com

رؤيـة اللـه ليسـت ماديـة.. فهـو مَـن هـو.. ذات عليـة؛ ترقـى فـوق كل مـا يخطـر ببالـك، عـلى الأرض أو في السـماوات. ذات اللـه تتجـلى في خلقـه، ففيهـا تـراه.. تـرى صنعتـه، وإبداعـه، وجمالـه... ذات اللـه في أنفسـنا وخلقنـا، وإذا قَـدَّرَ لنـا رؤيتـه أمكـن لنـا كل شيء ومكننـا مـن كل شيء.

رؤيـة ذات الخالـق لا يحدهـا كلام ولا مقـال ولا كتـاب، فالخالـق في قلـوب رعيتـه ملـك عـلى كـرسي الـروح؛ يحكـم ويتحكـم في تصرفـات المخلـوق، فأنـت إذا جعلـت اللـه في قلبـك كان اللـه يَـدَكَ التـي تبطـش بهـا، ولسـانَكَ الـذي تتحـدث بـه، ورجليـك التـي تمـشي بهـما...

الوصـف أدنى مـن الواقـع الـذي تكـون عليـه إن رأيـت اللـه، فالمسـألة هنـا خـارج حـدود المنطـق والعقـل، فقـط أمـور لا يُحسـها سـوى القلـب... لـذا فاللـه وذاتـه وقدراتـه العليـة لا يسـعها سـوى مـكان واحـد.. هـو قلـب مؤمـن.

يـرى الْمُكَفِّـرون أو الكافـرون في كلامنـا هـذا خروجًـا عـن العقـل أو الديـن، لكـن كلاهـما ينطبـق عليـه القـول: «مـن لم يـذق لم يعـرف».

ليـس مـن ذاق كمـن عـرف.. هكـذا أؤمـن أن رؤيـة اللـه تكـون في تجلياتـه عـلى عبـاده، وإحسـاس المخلـوق أن ربـه بجـواره؛ يشـعر بـه، ويـراه، فهـو ليـس كمثلـه شيء. ومـن ثـم فـإن رؤيـة اللـه ليسـت بالطبـع كرؤيـة المخلوقـات. هـو اللـه القريـب مـن عبـاده، يعلـم مـا في سرهـم.

فقـد رأيـت اللـه وذقـت حـلاوة لقائـه، في صـلاة تقربًـا إليـه، أو في توبـة بعـد معصيـة، رأيـت دلالات قبولهـا وقربـه إليّ.

نعـم، رأيـت اللـه عندمـا كـدت أشـعر أني كفـرت بنعمـه عـلي، فبكـت عينـي من خشـيته، وارتعـش جسـدي، وانهمـرت الدمـوع، وقتهـا شـعرت بقـرب الله.. تُبـت إليـه وكأني أراه.

تكـررت رؤيتـي للـه في كل مـرة تتنـزل عـليّ تجلياتـه، كلـما حمدتـه عـلى النعـماء، أو اسـتنجدت بـه في شـدة.

رؤيـة اللـه هنـا ليسـت كرؤيـة المخلوقـات والأشـياء والنبـات والجـماد، فالرؤيـة لمـن يشـاهد بالعـين والبـصر ليسـت كمـن يشـهد بالقلـب والبصـيرة، المسـألة ليسـت حسـية، ولكـن إحسـاس وإيمـان بأنـك تـرى اللـه بقلبـك.. فهـو القائـل: «لم تسـعني أرضي ولا سـمائي، ولكـن وسـعني قلـب عبـدي المؤمـن».

فمـن كان اللـه في قلبـه أيخـاف أو يخـشى أي شيء؟ إن كان حبيبـك الخالـق أتحتـاج إلى رعايـة المخلـوق؟ هـو القـادر عـلى أعدائـك والواقـف بجـوار أحبائـك.

رؤيـة اللـه ثقـةٌ فيـه.. حـبٌّ لـه.. تَخَلُّـقٌ بصفاتـه.. تقـربٌ إليـه بمـا يحـب.. بمناجاتـه في كل وقـت.. بحـب مـن أحـب... ألاَّ تخافـه بقـدر مـا تعشـق ذاتـه.. أن تكـون لـه فيكـون لـك.. أن تصبـح أنـت هـو.. أن تذهـب إلى طاعتـه فرحًـا وطوعًـا وولعًـا وشـغفًا بلقائـه...

حب الله بداية الطريق لرؤيته، والسبيل لبلوغ المنى.

حـب اللـه في معاملاتـك مـع خلقـه في حبهـم لذاتـه.. طلبًـا لرضـاه وتقربًـا إليـه.. حـب اللـه ليـس فقـط عبادتـه ولكـن تنفيـذ تكليفاتـه، أن تكـون في عـون خلقـه كـما هـو في عـون عبـاده.

اذهـب واجلـس مـع نفسـك.. اسـتدعِ ذات وصفـات اللـه في نفسـك.. وانظـر مـاذا سـيكون.. هنـا سأسـألك: هـل رأيـت اللـه؟